المحاضرة الثانية :الأسس الفلسفية للمناهج السياقية

تمهيد

ثمة صلة قوية للفلسفة بأكثر من حقل معرفي، منها النقد الادبي ولعل ما يؤكد ذلك عبارة "الفلسفة أم العلوم"، التي يرددها الباحثون والدارسون، وهناك من العلوم من نشأ بين أحضان الفلسفة والحق أن العلاقة بين الفلسفة والنقد الادبي قديمة قدم التفكير البشري، وهي متشابكة ومتداخلة وكل منهما يرفد الآخر.

ولا شك أن العودة الى التاريخ النقدي ستظهر أن الفلسفة المثالية ارتبطت بافلاطون في حين تنسب الفلسفة الواقعية أو العقلية الى أرسطو ، ثم تفرعت فلسفات أخرى من هذين الاتجاهين الكبيرين مثل: الفلسفة الوضعية ، والفلسفة التجريبية، والفلسفة المادية وغيرها .

أبرز الفلسفات التي قام عليها النقد السياقي

1- فلسفة العلوم التجريبية: تعتمد الفلسفة التجريبية على الحس والتجربة في ايصال المعرفة،من أشهر رواد امذهب التجريبي "دفيد هيوم"، و"جون لوك"، و"هوبز" . وبالنظر الى التطور الذي بلغته العلوم التجريبية كالكيمياء، وعلوم الطبيعة وتطبيقها للقوانين العلمية عمد النقاد في محال النفد السياقي الى نقل الشروط التجريبية المتعلقة بهذه العلوم الى مجال النقد الادبي، وحاولوا تطبيق قوانين هذه العلوم على النص الأدبي اعتقادا منهم أن ذلك سيكسب النص الادبي الصبغة العلمية، والدقة، ويجرده من الأحكام الذاتية الانطباعية، ويبعده عن التقريرية .

يقول سعد ظلام في هذا الشأن: "تطورت العلوم التجريبية مثل علوم الطبيعة والكيمياء، تطورا هائلا، وسرعان ما حاول النقاد أن يضعوا للادب قوانين كقوانين العلوم التجريبية فيما أمكنهم أن يسموه بالتاريخ الطبيعي للادب فطبقوا على الادباء منهج الطبيعيين في تصنيف النباتات والحيوان ، ورتبوا الادباء طبقات، وصنفوهم في فصائل بحسب خصائصهم الادبية .

وقد طبق عليهم بعض النقاد قوانين الجنس والبيئة والزمان ، وطبق آخرون على الادب ما ذهب اليه (داروين) في نظرية النشوء والارتقاء أو تطور الكائنات ".

2- الفلسفة الوضعية: ترى هذه الفلسفة أن المعرفة اليقينية هي التي تقوم على الوقائع التجريبية، تأسست في فرنسا على يد الفيلسوف الفرنسي (اوغست كونت)، تهتمم بدراسة الطواهر والبحث عن القوانين التي تحكم هذه الظواهر، وكان من أظهر نتائج تأثيرها على الادب المذهب الطبيعي عند (اميل زولا) الذي تميز بتطبيق مبادىء وقوانين العلوم الطبيعية على الادب، كما كان لهذه الفلسفة أثرها على الشعر الرمزي والتصويري وامتد تاثيرها الى النقد ايضا فانتهت به الى الى الواقعية النقدية .

3- الفلسفات النفسية والاجتماعية: عمد النقد السياقي في العصر الحديث الى الافادة من الفلسفة الاجتماعية، وفلسفة التحليل النفسي، فمن هذا الاخير اخذ النقد السياقي كل ما يتعلق باللاشعور، وكيف يعبر عن الرغبات المكبوتة، والعقد النفسية كعقدة "أوديب" وعقدة " الكترا ".كما تناول فكرة الأنماط الأولى، أو النماذج العليا، أو ما يعرف بمحتوى اللاشعور الجمعي الذي قال به (كارل يونغ) تلميذ (سيغموند فرويد) صاحب نظرية اللاشعور.

أما الفلسفات الاجتماعية فقد استفاد النقد السياقي من الفلسفات الاجتماعية عند (دور كايم) و(أوغست كونت) وما أبدوا من آراء وما طرحوه من نظريات عن طبيعة المجتمع، والتعبير الاجتماعي ، والصراع الاجتماعي وعلاقة ذلك بالأدب.

4- الفلسفة الماركسية: هي في حقيقة الامر نظرية في الاقتصاد وضعها (كارل ماركس) مع (انجلز) في منتصف القرن التاسع عشر، تعتقد هذه الفلسفة بوجود بنيتين في الحياة الاجتماعية بنية تحتية وأخرى فوقية ، فالاولى أي التحتية هي المادة بكل مظاهرها الاقتصادية والانتاجية ، والفوقية هي الثقافة بما في ذلك التاريخ والفكر والنظم والادب ، وتعد البنية التحتية القاعدة التي تقوم على أساسها البنية الفوقية . والعلاقة التي بينهما هي علاقة جدلية .فأي تغيير يحدث في الاولى ينعكس على الثانية . والادب مثله مثل مكونات البنية الفوقية ، وليد البنية التحتية الاجتماعية.

5- الفلسفة الوجودية : هي تيار فلسفي عرفها العصر الحديث، من أبرزما نادت به ودعت اليه فكرة "الالتزام في الأدب " كان ذلك خلال القرن التاسع عشر، وظهر بوضوح عند الفيلسوف الفرنسي الشهير (جون بول سارتر) ترى هذه الفلسفة أن الادب التزام بقضايا المجتمع وعلى الاديب أن يكون ملتزما، وأن يتحمل مسؤوليته، وأن يعنى بتناول قضايا الصراع الداخلي في مجتمعه، وأن لا يتنصل منها، بل عليه أن يتخذ موقفا ايجابيا من ذلك الصراع .ان أهم ما تركز عليه الوجودية الحرية المطلقة والمسؤولية الفردية .